بشائر أهل المصاب

ربما ثقلت على القلوب أعباءُ البلاء، واشتدت ليالي الحزن، غير أنَّ العبد يعلم أن الله جل جلاله ما ينزل بلاءً إلا وجعل معه من السكينة ما يثبّت القلب، ومن الرحمة ما يهوّن المصاب، وليس له في رحلة البلاء زاد أعظمُ من الصبر؛ فهو عدّته عند الشدائد، ونورُه في ظلمات الكرب، وبه تُرجى عظيمُ المثوبة من الكريم سبحانه.

وقد أكثر الله جل جلاله من ذكر الصبر في كتابه، فورد في القرآن في مواضع كثيرة. والأمرُ به جاء أمرًا واجبًا لا غنى للعبد عنه، فقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وجعل جل جلاله الفلاح معقودًا بالصبر والتقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ووعد الصابرين بمضاعفة الأجر والثواب بقوله سبحانه ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ثم خص الله سبحانه الصابرين بثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم وهدايته إياهم ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ وأخبر سبحانه أن ملائكته تستقبل أهلَ الجنة بالسلام؛ جزاءَ ما صبروا عليه في الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

رغّب رسولُنا صلى الله عليه وسلم في الصبر ترغيبًا عظيمًا، ووردت في فضله أحاديث كثيرة، منها ﷺ (ما رُزِقَ عبدٌ خيرًا له ولا أوسعَ من الصبرِ) وقوله ﷺ: (يقولُ اللهُ تعالى: ما لعَبدي المؤمنِ عِندي جَزاءٌ إذا قَبَضتُ صَفيَّه مِن أهلِ الدُّنيا ثُمَّ احتَسَبَه، إلَّا الجَنَّةُ)

والبلاء في حياة المؤمن ليس محصورًا بالفقد! بل كل أمرٍ يضيق له صدره فهو بلاء، له بصبره عليه أجر كما جاء في الحديث: (ما يصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلّا كفّر الله بها من خطاياه). ولما سُئِلَ رسولُ اللهِ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ جاء الجواب الشافي: (الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثل، يُبتَلى الناسُ على قدرِ دِينِهم فمن ثَخُنَ دِينُه اشتدَّ بلاؤه، ومن ضعُف دِينُه ضعُف بلاؤه، وإنَّ الرجلَ ليصيبُه البلاءُ حتى يمشيَ في الناسِ ما عليه خطيئةٌ) وبيّن خير خلق الله ﷺ أثر البلاء في تعظيم الأجر والثواب فقال: (إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ؛ وإنَّ اللهَ تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرِّضَى، ومن سخِط فله السُّخطُ)

ومنزلة الرضا عند الله عز وجل أعظم من منزلة الصبر وأجلّ، فالصبر حبسُ النفس عن الجزع، أمّا الرضا فهو سكون القلب وطمأنينته إلى اختيار الله، حتى يستقبل العبد أقدار ربّه بقلبٍ منشرح، ونفسٍ مطمئنة، ويوقن أنَّ ما اختاره الله له خيرٌ مما اختاره لنفسه.

ولذا فإن للرضا بالقضاء ثمرات جليلة تسبغ على روح العبد، منها:

١. أنه يثمرُ رضا الله عن عبده، فإذا رضي عنه بالقليل من الرزق: رضيَ ربه عنه بالقليل من العمل.
٢. أن السخط باب الهم والغم والحزن، وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، والظن باللّه خلاف ما هو أهله. والرضا يخلصه من ذلك كله ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

٣. أن الرضا يوجب للراضي الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه، وقراره. والسخط يوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره.

٤. أن العبد إذا رضي بالبلاء انقلب في حقه نعمة ومنحة، وخف عليه حمله، وأعين عليه. وإذا سخطه تضاعف عليه ثقله وكله، ولم يزدد إلا شدة. فلو أن السخط يجدي عليه شيئا لكان لهُ فيه راحة أنفع له من الرضا به.

٥. أن الرضا ينزل على الراضي السكينة التي لا أنفع للمؤمن منها، ومتى نزلت السكينة: استقامَ العبد وصلحتْ أحواله، وصلح باله. وأما السخط فيبعده من السكينة بحسب قلته وكثرتهِ. وإذا ترحلت عن العبد السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة، وطيب العيشِ. فمن أعظم نعم الله على عبده: تنزل السكينة عليه. ومن أعظم أسبابها: الرضا عن الله تعالى في جميع الحالات.

٦. أن من ملأ قلبه من الرضا بقدر الله، ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه. ومن فاته حظه من الرضا: امتلأ قلبه بضد ذلك. واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه.

٧. أن الرضا يثمر الشكر، الذي هو من أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان. والسخط يثمر ضده. وهو كفر النعم. وربما أثمر له كفر المنعم. فإذا رضي العبد عن ربه في جميع الحالاتِ: أوجبَ له ذلك شكره. فيكونُ من الراضين الشاكرين. وإذا فاته الرضا: كان من الساخطين. وسلك سبيل الكافرين.

٨. أن الرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس; فإن حسن الخلق من الرضا وسوء الخلق من السخط. وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائمِ القائمِ، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

٩. قال ابن القيم رحمه الله في منزلة الرضا: "أن أفضل الأحوال: الرغبة في الله ولوازمها. وذلكَ لا يتم إلا باليقين، والرضا عن الله. ولهذا قال سهل: حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا. وحظهم من الرضا على قَدرِ رغبتهم في الله".

١٠. أنَّ الرضا يحفظ العبد من مداخل الشيطان، فإن الشيطانَ إنما يظفر بالإنسان غالبا عندَ السخط والشهوة. فهناك يصطاده. ولا سيمَا إذا استحكمَ سخطهُ. فإنه يقول ما لا يرضِي الرب، ويفعل ما لا يرضيه، وينوي ما لا يرضيه، ولهذا قال النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم (تَحْزَنُ الْقَلْبُ وَتَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ) فأخبر النبي ﷺ أنه لا يقول في مثل هذا المقام - الذي يسخطه أكثر الناس، فيتكلمون بما لا يرضي الله، ويفعلون ما لا يرضيه - إلا ما يُرضِي ربه تبارك وتعالى.

فإن أيقن القلب أن الدنيا دارُ ابتلاء لا دارُ صفاء، وما من حيٍّ إلا ويمرُّ عليه من الأحزان ما يختبر الله به صدقه وإيمانه. فطوبى لمن قابل البلاء بالصبر، واستقبل القضاء بالرضا، وعلم أنَّ مع العسر يسرًا، ومع كلِّ ضيقٍ وهمٍّ فرجًا.

من برامج منصة يسر التعليمية

EXPLORE IT ON AppGallery | Download on the App Store | Available on the Google Play

:yusurplatform www.yusurplatform.net